

أطياف نورانية في رحاب الزاوية المحجوبية

الشيخ يوسف بن علي الجعراي

أنموذجاً

أ.د: نصرالدين البشير العربي

جامعة المرقب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.

في ليبيا بلدنا الجميل ثلة من الجهادة الذين أدوا رسالتهم على أكمل وجه، فكانوا نبراساً يستضاء به في كل زمان ومكان، نماذج يقتدى بها في الوقت الذي تفتقد فيه القدوة الصالحة، والكلمة الجريئة والمجابهة الصريحة في سبيل إعلاء كلمة الله، ومن هؤلاء العلماء العاملين الشيخ يوسف بن علي الجعراي أحد طلاب الشيخ الجليل إبراهيم المحجوب، الذي سنتحدث عنه في هذه المداخلة الجامعة لمقتطفات من سيرته العطرة، وشذرات من ترجمته القيمة، وهو شيخ الشيوخ، وقطب ذوي الرسوخ، فمن هو يوسف الجعراي؟ وما هي العلاقة التي ربطته بالشيخ إبراهيم المحجوب؟.

ورد اسمه في كتاب: (من تاريخ الثقافة في ليبيا) لمختار الهادي بن يونس هكذا "الشيخ يوسف بن علي الجعراي"، الذي يرجع نسبه إلى بلدة جعرانة⁽¹⁾ بالمغرب الأقصى استقر به المقام ببلدة مسلاتة (بالقصبات)⁽²⁾ إلى أن توفي ودفن بها، غير أننا لم نصل إلى معلومات وافرة حول سنة ميلاده بالتحديد، وغاية ما وقفنا عليه من أمره أنه جاء زمن الشيخ أبو إسحاق إبراهيم المحجوب⁽³⁾ القاطن ببلدة مصراته، والمدفون بها الذي درس عليه وتكون به، وحفظ القرآن الكريم علي يديه، ومولد الشيخ إبراهيم المحجوب في الثلث الأخير من القرن السابع الهجري، وفائدة هذا التقييد تظهر لنا التقارب في العمر، بالإضافة إلى ما استفدناه من ذكر الدكتور محمد المغربي، والأستاذ امحمد المجري في كتابهم الموسوم ب: "زاوية الشيخ إبراهيم المحجوب العلمية التأريخ والأصالة في ذكرهم: (بأنه كان حياً حتى سنة 820هـ)⁽⁴⁾، وكذلك غاية ما انتهينا إليه من أخباره من خلال الروايات الشفوية المتوارثة بين أهل مسلاتة حول مجيئه إلى ليبيا واستقراره ببلدة مسلاتة: "... أنه كان يقود ركب الحجيج المغربي من فأس بالمغرب إلى الحرمين الشريفين

1 - بلد بالمغرب الأقصى اسمها جعرانة وبالتحديد من الساقية الحمراء ووادي الذهب.

2 - القصبات: مركز المدينة (مسلاتة) التجاري والاقتصادي الذي يوفر الخدمات الاقتصادية والاجتماعية والصحية والثقافية، ويتوافد عليه السكان من القرى المجاورة له لما يوفره من خدمات؛ للمزيد انظر: عبدالحكيم مفتاح عومر، مسلاتة في المجالين المدني والريفي، رسالة ماجستير، الجامعة اللبنانية، 2000م، ص25.

3 - هو أبو إسحاق "إبراهيم"، ابنالسيد أبي علي "إسماعيل"، ويقال له: "محمد"، (م. 625هـ)، ابن السيد "يحي" الكامل، الملقب ب"المحجوب"، (م. 592هـ)، جد السادة المحاجيب ابن السيد: عبدالله (م. 559هـ)، ابن السيد: عبدالقادر، المولود بين عامي (520- 526هـ)، بمدينة "كومبي صالح" عاصمة مملكة غانا قديماً الواقعة بالجنوب الشرقي في موريتانيا، ابن السيد: موسى (م. 493هـ)، حاكم غانا بين عامي: (533- 553هـ)، ابن السيد: هلال الدمشقي، حاكم مملكة غانة بين عامي: (493- 513هـ)، ابن السيد: حبيب الله الكناني، حاكم غانة بين عامي: (480- 483هـ)، ابن السيدعبدالله "الشريف كان الأول"، حاكم غانة حتى عام: (479هـ)، (ت: 480هـ)، ابن السيد: هذيم، ابن السيد: مسلم، ابن السيد زيد، ابن السيد: أبي الضحاك عبدالله، ابن السيد: الحسن "الشهيد قتيل جهينة"، ابن السيد: عبدالله "الشهيد"، ابن السيد "محمد" الشاعر، "الشهيد" ابن السيد: صالح "الشاعر، الجوال، الأعور"، الذي خرج على المأمون بخرسان، وتوفى بالمدينة في خلافة المأمون، ابن السيد: عبدالله، ابن السيد: موسى "الثاني": (ت: 256هـ)، ابن السيد: أبي عبدالله موسى الجون "الأول": (ت 180هـ)، ابن السيد:عبدالله الكامل المحض "شبية الحمد": (ت: 145هـ) ابن السيد:الحسن المثنى المحض: (ت: 90هـ)، ابن السيد: الحسن السبط: (ت: 50هـ)، ابن السيد: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: (ت: 40هـ)، وفاطمة الزهراء: (11هـ)، رضي الله عنهما، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. للمزيد انظر: أحمد مصباح المغربي، و امحمد الصغير المجري، زاوية الشيخ إبراهيم المحجوب العلمية التأريخ والأصالة - من التأسيس حتى منتصف القرن العشرين، دراسة وصفية تاريخية، غير منشور، ص19-20.

4 - أحمد مصباح المغربي، وامحمد الصغير المجري، مرجع سابق، ص 127.

كشيخ الركب، وكان من ضمن الركب الشيخ أحمد زروق⁽⁵⁾، والشيخ المحجوب، حيث أقام فترة بمصراته ظل يتردد خلالها على الشيخ أبي إسحاق إبراهيم المحجوب⁽⁶⁾.

ينتسب آل الجعراي إلى آل البيت الشريف من جهة أم الأب، أي أنهم أشرف⁽⁷⁾، ويذكر جمال الجعراي: أن مجيء الشيخ علي بن يوسف الجعراي، وهو والد الشيخ يوسف بن علي الجعراي إلى ليبيا واستقراره بمسلاتة كان خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، وهو من معاصري الشيخ أحمد زروق⁽⁸⁾.

أسس الشيخ يوسف الجعراي بعد عودته إلى مسلاتة من مدينة مصراته وإنهاء دراسته على يد الشيخ إبراهيم المحجوب جامع خاص سمي بجامع (الثوابت) بمقر سكنه بقبيلة الجعاريين⁽⁹⁾ على نفقته الخاصة، دون تحديد تاريخ دقيق ومحدد لبنائه وقال الشيخ عمران كشيدان حول بنائه وتأسيسه لجامع الثوابت: "إنما على الأرجح أن عملية البناء والتأسيس تمت خلال بداية القرن الثامن الهجري"⁽¹⁰⁾ ويعتبر من أولى الجوامع التي شيدت لتحصيل العلوم القرآنية والإسلامية بقبيلة الجعاريين، وكان الشيخ يوسف الجعراي ممن تصدر للإسهام في التدريس بهذا الجامع، حيث انهال عليه الطلاب من كل حذب وصوب للاستسقاء

5 - هو الإمام العلامة الفقيه أحمد بن محمد بن عيسى الفاسي الأصل، الطرابلسي المولد والمنشأ والوفاة، عرف بنفسه وأحواله وشيوخه في كفاشة. للمزيد انظر: محمد مسعود جبران، علي الفقيه حسن - 1898-1985م دراسة في جهوده العلمية والسياسية مع جمع آثاره العلمية المتبقية، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2005م، ص 144.

6 - ورقة خطية غير منشورة بمكتبة جمال الجعراي وهو سليل أسرة آل الجعراي بمسلاتة، وله اهتمامات بنسب العائلة، غير منشورة.. ولربما المقصود بالإقامة بمدينة مصراته وتردده على الشيخ إبراهيم المحجوب أنه كان يقرأ عليه ويحفظ القرآن الكريم وهذا الراجح.

7 - المصدر السابق نفسه.

8 - المصدر السابق نفسه.

9 قبيلة الجعاريين ترجع أصولها التاريخية إلى بلد بالمغرب الأقصى اسمها جعرانة وبالتحديد من الساقية الحمراء ووادي الذهب، وذلك نسبة إلى مؤسسها الشيخ يوسف بن علي الجعراي، نزيل مسلاتة الذي قدم إلى مسلاتة من المغرب الأقصى فترة اشتداد نفوذ الإفرنجية على المغرب في القرن التاسع الهجري واستقر بمنطقة مسلاتة وبالتحديد بالقصبات على تخوم جبل القلعة، وسكن بالقبيلة التي تسمت بلقبه دون غيره، وهي قبيلة الجعاريين التي لازالت إلى يومنا هذا تسمى بهذا الاسم ومن أبرز الفقهاء والمدرسين الذين قاموا بتدريس القرآن الكريم في هذه الزاوية منذ تأسيسها الفقيه الطبولي الورفلي، والفقيه مفتاح الدبار المسلاتي، والفقيه أحمد أبو حجر الزليتي، كما عملت هذه الزاوية على تدريس فروع العلم الأخرى المتمثلة في الفقه والحديث واللغة وغيرها، للمزيد، انظر: ورقة خطية من إعداد فضيلة الشيخ عبد الله سالم كشيدان.

10 - مقابلة أجراها الباحث مع فضيلة الشيخ عمران كشيدان، بتاريخ 2022/1/2م، بقرية الجعاريين بمسلاتة.

من نميره العذب، وكانت له شخصيته المميزة وبرنامج التعليمي الهادف في توجيه أنظار الناس إلى طلب العلم والتفقه في الدين، وكان من أبرز المشايخ الذين درسوا فيه الشيخ محمد صريهيد الشريف الجعراي، وخلفه ابنه الشيخ العالم أحمد بن محمد صريهيد الشريف الجعراي⁽¹¹⁾، ومن أبرز الطلاب الذين درسوا عليه وحفظوا القرآن الكريم، وعلوم الشريعة الشيخ محمد الجعراي بن محمد بن عمر صريهيد، وهو ابن عم الشيخ أحمد صريهيد وغيرهم كثير.

- شيوخه:

إن زمن تحصيل الشيخ يوسف بن علي الجعراي -كما علمنا- هي مرحلة واحدة في بلدة مصراته، وهي المرحلة التي سبقت عودته إلى مسلاته، والتي دامت كما تبين من خلال الرواية المتواترة فترة من الزمن، وأغلب الظن أن الشيخ يوسف قد مضى إلى مصراته في سن مبكرة، ولأزم شيخه إبراهيم المحجوب، فكان يجد فيه شيخه ومثله الأعلى، ونموذجه الذي يحتذي به، ومما توصلت إليه أنه كان قد درس في هذه المرحلة -أي مرحلة تعلمه في مصراته- حفظ القرآن الكريم بزاوية المحجوب العلمية⁽¹²⁾ على يدي شيخه إبراهيم المحجوب، ولا يوجد تفصيل ووضوح حول من درسه غير الشيخ إبراهيم المحجوب، حيث لم يتعرض معظم من عاصره وترجم له إلى ذكر غيره. ولم تكن له رحلة إلى الخارج لطلب العلم، وإنما اقتصر في طلب العلم على علماء بلده بزاوية المحجوب العلمية⁽¹³⁾.

11 - الشيخ أحمد صريهيد المسلاتي: من العلماء المتميزين في وقته وزمانه، وكان من أكبر الموثقين ومن أصحاب الفتاوي الشرعية الرصينة. للمزيد انظر: غيث عبدالله العربي، مسلاتة في العهد العثماني الثاني، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2010م، هامش رقم 1، ص 153.

12 - من الزوايا العلمية التي اشتهرت في ليبيا، زاوية الشيخ إبراهيم ابن إسماعيل بن يحيى المحجوب الحسني، والتي يرجع تاريخ تأسيسها إلى سنة 742هـ، الموافق 1341م حيث وصل مؤسسها إلى هذه المنطقة عن طريق هجرة عكسية من المغرب الأقصى، فهي تنسب إليه، وتسمى باسمه، وهي من الزوايا المشهورة، تقع في الناحية الغربية من مدينة مصراته، وتبعد عن مركز المدينة قرابة ثلاثة عشر كيلو متر، يحدها قبلة: (جهة الشرق) محلة سيدي مبارك، وسلسلة رمال الشراكسة، وشرقاً: (جهة الشمال) البحر، وبحراً (جهة الغرب) منطقة أبي راوية والداقنية، وغرباً: (جهة الجنوب) مزرعة السويجلي بالداقنية، وهي قرية يغلب عليها قديماً الطابع الريفي القروي. للمزيد انظر: أحمد مصباح المغربي، و امحمد الصغير المجري، زاوية الشيخ إبراهيم المحجوب العلمية التأريخ والأصالة - من التأسيس حتى منتصف القرن العشرين، دراسة وصفية تاريخية، مرجع سابق، ص 29.

13 - مقابلة شفوية أجراها الباحث مع فضيلة الشيخ عمران كشيدان، مصدر سابق.

عاد بعدها الشيخ يوسف بن علي الجعراي أدراجه إلى مدينة مسلاتة، وتحديداً بقبيلة الجعاريين، واستقر به المقام بمسجده الذي أسسه (جامع التوابث) وتصدر تدريس القرآن الكريم والعلوم الشرعية والإمامة والخطابة، وكان له إمام بعلوم القرآن واللسان.

شرح القرطبية والأجرومية ونظمها نظماً بديعاً. وذكر في المنهل العذب أن له قصائد ولم يذكر شيئاً منها، كان موجوداً سنة 820هـ، مدفون بقرية الجعاريين وقبره معروف⁽¹⁴⁾.

قرضه للشعر:

أسهم الشيخ يوسف الجعراي بإنتاجه في رياض الشعر المزهرة الخصبة، وجادت سجيته ببعض القصائد القصار والطوال والنتف في بعض المناسبات، وكان من أشهرها قصيدته: (للتذكير بالمصير المحتوم وفراق الدنيا): وتحتوي على 32 بيت من الشعر نظماً وهذه بعض أبياتها نوردتها للتمثيل فقط⁽¹⁵⁾:

سلام الله أحبابي عليكم *** وإن طال الزمان فتلحقوني

ألا يا نفس ويحك حدثيني *** حديثاً صادقاً لا تكذبيني

أليس الموت محتوماً عليك *** ولو عمرت ألف من السنين

لو عمرت فيك عمر نوح *** لكان الموت قطعاً للأنيبي

14 - الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1961م، ص363-364.

15 - ورقة خطية بمكتبة جمال الجعراي، غير منشورة، مصدر سابق.

- وفاته:

من الحق أن نقول إنه لم تصلنا معلومات دقيقة ومفصلة حول تاريخ وفاته، وأغلب الظن أنه توفي بعد سنة 820هـ، وكذلك يمكننا القول أنه من زمن الشيخ إبراهيم المحجوب، والشيخ أحمد زروق، والشيخ عبدالواحد الدوكالي، وغيرهم من العلماء المغاربة الذين ارتحلوا إلى ليبيا واستقروا بها، وقبر الشيخ يوسف الجعراي موجود بالقرب من زاويته التي أسست بعد وفاته بمقر المدينة بالقصبات بقرية الجعاريين أحد الأحياء المعروفة بمسلاتة، وذلك سنة 1270هـ الموافق 1854م تقريباً، على نفقة ذاتية وبمجهود ذاتي من أهل قبيلة الجعاريين، وبناءً على رأي من شيخ قبيلتها في ذلك الوقت، وهو الشيخ عمر بن حسن كشيدان؛ لتكون زاوية تابعة لضريح الشيخ يوسف بن علي الجعراي، واستمرت في تحفيظ القرآن الكريم وعلومه إلى يومنا هذا(16).

ونختم القول في ترجمته ومسيرة حياته وصدى نعيه - رحمه الله بقول الشاعر في رثاء أحد العلماء الفضلاء من أمثاله:

وقالوا الإمام قضى نحبه *** وصيحة من قد نعاه علت

فقلت فما واحد قد مضى *** ولكنّه أمة قد خلت

رحمه الله تعالى وغفر له، وستره وعامله بمحض فضله وجوده، ورضاه، وجعل دار السلام نزله ومأواه، وأسبغ الله الجواد المحسن عليه حلل الجنان الواسعة، وأسأل الله له القبول والرحمة، وتكرم عليه بسكنى فراديس الجنة إنه عظيم النعمة والمنه.

16 - سبق لأستاذنا عبدالله سالم كشيدان أن كتب ورقية خطية حول شخصية الشيخ يوسف بن علي الجعراي، قدم فيها معلومات قيمة حول شخصيته.

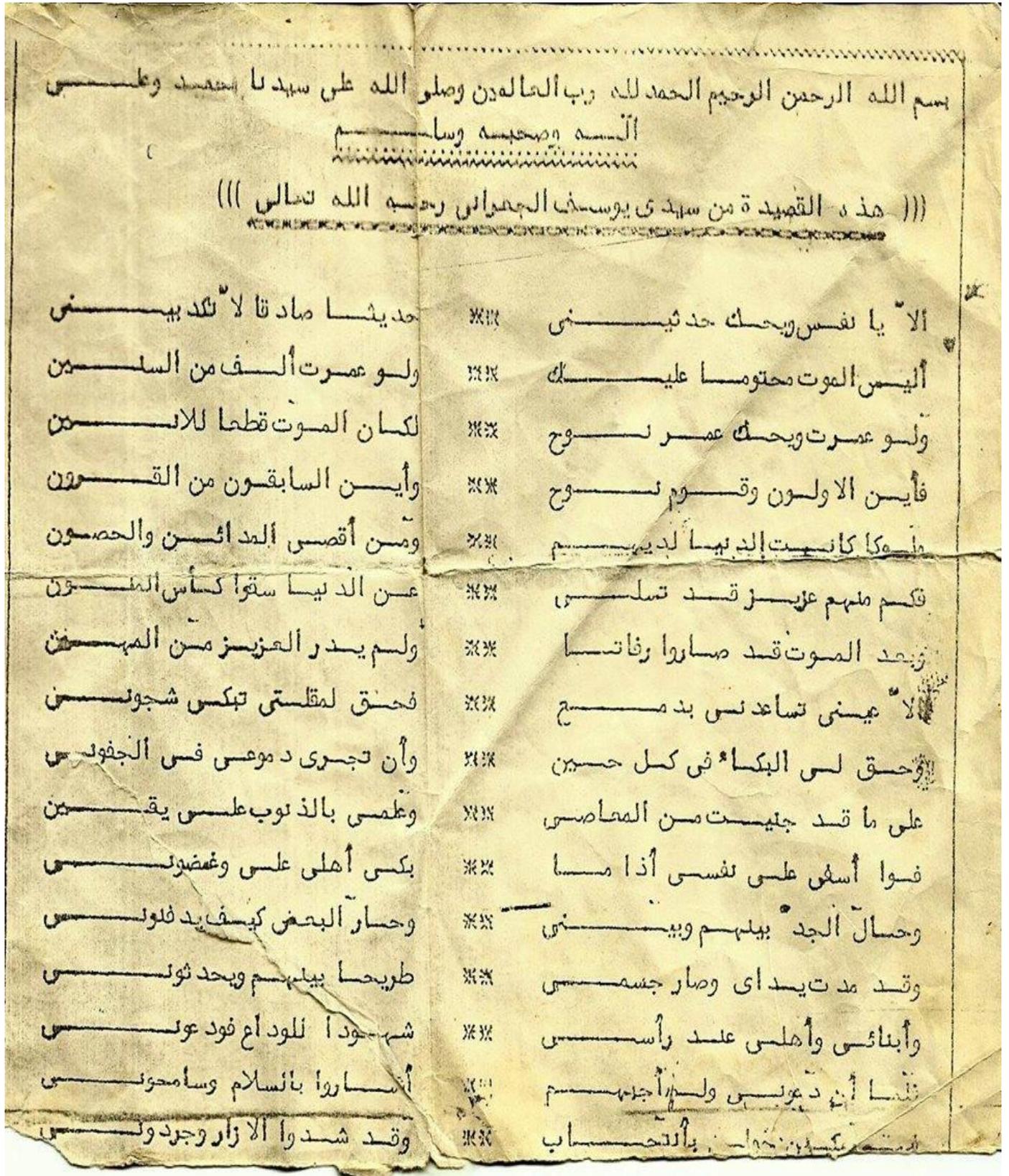
الخاتمة

- قدمت في هذه المداخلة المتواضعة عرضاً تاريخياً لسيرة علم من أعلام مدينة مسلاتة وأحد طلاب الشيخ إبراهيم المحجوب، الشيخ يوسف بن علي الجعرائي خلال القرن الثامن الهجري، محاولاً أن أبين صلته بزاوية المحجوب بمدينة مصراتة، ومؤسسها الشيخ إبراهيم المحجوب، وفق أساليب التحليل التاريخي، والذي أفضى إلى الكشف عن عدة نتائج يمكن إجمالها في الملاحظات التالية:
- 1- تنتمي أسرة الشيخ يوسف بن علي الجعرائي لبلد جعرانة بالمغرب الأقصى.
 - 2- بينت الدراسة أن زمن قدوم الشيخ يوسف بن علي الجعرائي إلى ليبيا، هو نفس زمن الشيخ إسحاق إبراهيم المحجوب القاطن بمصراتة ودفينها.
 - 3- بينت الدراسة أن الشيخ يوسف بن علي الجعرائي قد حفظ القرآن الكريم وعلومه على يد الشيخ إبراهيم المحجوب بزاويته الشهيرة بمصراتة.
 - 4- بينت الدراسة الارتباطات الوثيقة بين الزوايا بمدينة مسلاتة، وزوايا مدينة مصراتة.
 - 5- بينت الدراسة أن أول من أسس مسجد الثوابت بحي الجعاريين بمدينة مسلاتة هو الشيخ يوسف بن علي الجعرائي، بعد عودته من مدينة مصراتة.
 - 6- لاحظت الدراسة اتصال علماء مدينة مسلاتة، بعلماء زاوية المحجوب بمدينة مصراتة، وزاوية عبدالسلام الأسمر بمدينة زليتن.
 - 7- وضحت الدراسة، أن تأسيس زاوية يوسف بن علي الجعرائي بمقر المدينة القصبات بحي الجعاريين بعد وفاته بفترة طويلة من الزمن، وسميت باسمه دون غيره تقديراً لدوره الفعال في تحفيظ القرآن الكريم بمسلاتة.
 - 8- أدت النخبة العلمية لأسرة الشيخ يوسف بن علي الجعرائي أدواراً علمية مرموقة في مسلاتة وخارجها، تدريساً للعلوم الشرعية وتحفيظ القرآن الكريم إلى يومنا هذا.
 - 9- حرص القائمين على زاوية الشيخ يوسف بن علي الجعرائي بالمحافظة على استمرار الزاوية بأدوارها العلمية في شتى العلوم.
 - 10- كشفت الدراسة عن الآثار العلمية للشيخ يوسف بن علي الجعرائي ومدى تأثيره بشيخه إبراهيم المحجوب.

والله ولي التوفيق

قائمة المصادر والمراجع

- ورقة خطية بمكتبة جمال الجعراي، وثائق عائلة آل الجعراي، غير منشورة.
- ورقة خطية من إعداد فضيلة الشيخ عبد الله سالم كشيدان.
- مقابلة أجراها الباحث مع فضيلة الشيخ عمران كشيدان، بتاريخ 2022/1/2م، بقرية الجعاريين بمسلاطة.
- أحمد مصباح المغربي، وامحمد الصغير المجري، زاوية الشيخ إبراهيم المحجوب العلمية التأريخ والأصالة - من التأسيس حتى منتصف القرن العشرين، دراسة وصفية تاريخية، غير منشور.
- محمد مسعود جبران، علي الفقيه حسن - 1898-1985م دراسة في جهوده العلمية والسياسية مع جمع آثاره العلمية المتبقية، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2005م.
- غيث عبدالله العربي، مسلاطة في العهد العثماني الثاني 1835-1911م دراسة في الأوضاع السياسية والإدارية والاقتصادية والثقافية، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2010م.



قصيدة الشيخ يوسف بن علي الجعراي الشهيرة الموسومة: (للتكثير بالمصير المحتوم وفراق الدنيا).